

ثالثاً - هجرة المستوطنين اليهود: على الرغم من أنه لم يكن للهجرة اليهودية، في بداياتها الاولى، أهمية تذكر، إلا أنه ليس هناك ما يمنع الاشارة إلى حقائق أولية شكلت بدرجة التواجد الاستيطاني في فلسطين. ففي عام ١٨٨٠، سكن حوالي ثلثي المهاجرين من اليهود مدينة القدس، حيث وصل عددهم إلى نصف سكان المدينة. وعند بداية الحرب الاولى، استوطن ما يقارب ٨٦٪ من مجموع الـ ٨٥,٠٠٠ مهاجر، في مدن فلسطين الكبرى (نسبة عالية منهم في القدس، والباقي في صفد وطبريا والخليل ويافا وحيفا). أما النسبة المتبقية منهم، والبالغة ١٤٪، فقد سكنوا في المستوطنات التي كانت قد تأسست حتى ذلك الحين وعددها ٤٣ مستوطنة<sup>(٤٥)</sup>.

### التنافس الكولونيالي وبدايات الاستيطان الصهيوني

ولدت فكرة «دولة اليهود» في صلب مطامع الكولونيات الاوروبية وتنافسها على مراكز النفوذ في العالم، وذلك قبيل تأسيس الحركة الصهيونية بحوالي قرن من الزمان. وكان نابليون، واحداً من الأوائل الذين تنبّهوا إلى امكانية استغلال مشكلة اليهود لصالح سياسته الخارجية، بينما كان يعدّ لشن حملته على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١)<sup>(٤٦)</sup>. وقد حاول نابليون استمالة يهود فرنسا والعالم إلى جانب حملته تلك، وذلك بتوجيه نداء يدعو فيه يهود آسيا وافريقيا للتوحد حول رأيه، من أجل اعادة بناء «مملكة القدس القديمة». وفي وقت لاحق، عكست الطموحات الفرنسية ذاتها ثانية في كتيب بعنوان: (مسألة الشرق الجديدة La Nouvelle Question d'Orient) نشره، سنة ١٨٦٠، السكرتير الخاص لنابليون الثالث ارنست لاران (Ernest Lahranne) ودعا فيه اليهود لكي يعدّوا أنفسهم للهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها «تحت الرعاية المقدسة لفرنسا مانحة الحرية» (Sous L'égide sacrée de Cette France emancipatrice)<sup>(٤٧)</sup>. وكان، آنذاك، تنظيم دعي بالمجلس اليهودي قد أصدر نداء لليهود العالم سنة ١٧٨٩، دعا فيه إلى تأسيس وكالة يهودية عالمية بهدف الحصول على «وطن قومي» في مصر السفلى وكل فلسطين حتى البحر الأحمر، وذلك بالتعاون مع الحكومة الفرنسية<sup>(٤٨)</sup>. وسنة ١٨٦٠، أسس ستة من الممولين اليهود في فرنسا ما عرف باسم «الليانس الاسرائيلي العالمي» (Alliance Israélite Univreselle)، والذي نذر نفسه، في البداية، لنشاطات ثقافية قبل كل شيء، غير أنه في سنة ١٨٧٠، باشر بالقيام بخطوات عملية باتجاه الاستيطان في فلسطين، تجسدت بداياتها في تأسيس مدرسة زراعية بالقرب من يافا<sup>(٤٩)</sup> تبعتها سنة ١٨٧١ تأسيس الرابطة الانجلو - يهودية (Anglo-Jewish Association) وسنة ١٨٧٣، تأسيس اليانس الماني<sup>(٥٠)</sup> وآخر فرنسي، على غرار المؤسسات المذكورة أعلاه.

نبّهت مبادرة نابليون الرامية إلى كسب السكان اليهود إلى جانب الطموحات الكولونيالية للبرجوازية الفرنسية، الكولونيالية البريطانية لهذه المسألة الهامة (مسألة اليهود)، التي من الممكن أن تستعملها بريطانيا كورقة رابحة لصالح تحقيق مآربها الكولونيالية في الشرق العربي. وقد اتخذت هذه المسألة بالفعل طابعاً ملحاً لدى السياسة البريطانية في مواجهتهم لطموحات محمد علي التوسعية في بلاد الشام، حيث خطا